مجلة كلية الآداب بقنا (دورية أكاديمية علمية محكمة)

الشاعر والقبيلة وتحوّلات الزمن:
قراءة ثقافيّة في داليّة دُريد بن الصّمّة

د. عبدالرحمن أحمد عبدالله المقري

أستاذ الادب والبلاغة المساعد

كلية العلوم والآداب بالمخواه – جامعة الباحة

DOI: 10.21608/qarts.2022.139219.1441

مجلة كلية الآداب بقنا – جامعة جنوب الوادي – العدد (٥٦) يوليو ٢٠٢٢

الترقيم الدولي الموحد للنسخة المطبوعة ISSN: 1110-614X

الترقيم الدولي الموحد للنسخة الإلكترونية ISSN: 1110-709X

موقع المجلة الإلكتروني: https://qarts.journals.ekb.eg

الشاعر والقبيلة وتحوّلات الزمن:
قراءة ثقافيّة في داليّة دُريد بن الصّمّة

الملخص:

تحاول هذه الدراسة أن تقدم قراءة ثقافيّة مختلفة وجديدة في قصيدة الشاعر دُريد بن الصِّمة من خلال قراءة تفاعل الذات الشاعرة مع أحداثيات الأحداث الزمنية المختلفة بكلية تجلياتها. وقد ركزت الدراسة عملها في محورين أساسيين، هما:

الأوّل: تنظيريّ يركز على فاعلية معطيات النّقد الثّقافيّ واستراتيجاته في الكشف عن المضمرات الثقافيّة والنسقيّة التي تنطوي عليها البنى النصيّة في النصوص المختلفة كما توقفت عند فلسفة الزمن في الخطاب الأدبي بوصفها فلسفة مركزية في الأعمال الأدبية على مختلف أجناسها.

والثاني: إجرائيّ يبرز دور عبر متواليات ثلاث؛ رؤية الشاعر المهمّش أو الذي يعاني من إشكالات الزمن وتحولاته لإشكاليّة الفقد والحزن المتجسدة في فقد أخيه، وضلال رأي القبيلة، ومن ثم الإفصاح عن التصورات التي يتخذها الشاعر في سبيل إثبات الذات ومواجهة هذه التحولات السالبة.

وقد حاولت الدراسة قراءة تحولات الزمن في هذه القصيدة من خلال المتوالية الرئيسة المكونة للبنية النصيّة الكبرى للقصيدة، وهي المتواليات الآتية:

- المتوالية الأولى، وعنوانها: فقدان المرأة والحنين لها، وتمثّلت في الأبيات (١-١١).
- المتوالية الثانية ، وعنوانها : القبيلة والرأي الأعمى، وتمثّلت في الابيات (١٢-٢٧).
- المتوالية الثالثة: وعنوانها : فقدان الأخ وبكائيات الذكرى، وتمثّلت في الأبيات (٢٨- ٤٦).

الكلمات المُفتاحيّة: الشّاعر، دُريد بن الصّمّة، تحوّلات الزّمن، الذات، القبيلة.

المقدمة

تحاول هذه الدراسة قراءة دالية دريد بن الصِّمة التي مطلعها " أرث جديد الحبل من أم معبد "، من منظور النقد الثقافيّ، أو ما اصطلح على تسميته بـ"القراءة الثقاقيّة"، محاولة تقديم قراءة فاحصة لهذه القصيدة، في ضوء فكرة قلق الذات وتحولات الزمن وجدليات الانتماء والخروج على القبيلة، بغية الوصول إلى نتائج جديدة لم يسلط عليها الضوء من قبل في الدراسات المتعاقبة لهذه القصيدة، على اعتبار أن النقد الثقافيّ– كما هو معلوم– منهج يسمح – والحال هذه– بإعادة قراءة الأدب شعره ونثره ومختلف صنوفه والتجديد في قراءة النصوص وتحليلها.

إن هذه القصيدة قصيدة الذات الثائرة والحائرة، فهي تمثل صوت الذات الشاعرة الحائرة بين الالتزام بالانتماء القبليّ والاندغام بصوت القبيلة وبين مخالفتها، أي هذه القبيلة، والخروج على دائرتها، وقوانينها، بيد أنها تمثل صوت الذات، بصورة تجعلها قصيدة الذات الشاعرة أكثر من كونها قصيدة رثائية لأخ الشاعر، بما ترسمه لهذه الذات من صورة متفردة، فحوليّة، في مصطلح القصيدة حين تتحدث الأنثى والرغبة في حيازتها، مكرسة ثقافة الأنثى وسلطتها على الموروث الشعريّ العربيّ القديم، وثانيًا بتصويرها لحكمة الذات ورؤيتها الاستشرافيّة والناضجة والمختلفة لما ينبغي أن يكون عليه مسار القبيلة، قبيلة الشاعر، وهو يتجلى في ما قدمه لها من نصائح، صادقة، ثاقبة، تنبئ عن ذات مستشرفة، وخبيرة بالدهر، وثالثًا، بترسيمها صورة متفردة للشاعر وأخيه بوصف هذه الصورة انعكاسًا لصورة الذات، فقوة المرثي –وهو أخو الشاعر– إنما تعكس قوته وتجلي صورته، فضلاً عما تحمله صورة الفرس في مختتم القصيدة من انعكاسات وتمثيلات مرتبطة بالذات الشاعرة.

ولا ندحة من الإشارة إلى أنّ هذه القصيدة تعد من أشهر عيون الأدب العربيّ، وقد ضمنت في في عدد كبير من كتب المختارات الأدبيّة ومنها مثالاً لا حصرًا كتاب الأصمعيات للأصمعيّ[١]، وقد قالها دريد بن الصِّمة يرثي أخاه، ويندب حظّه، ويلوم قبيلته على عصيانها أمره، ونصيحته، وهو في أتون ذلك إنما يرسم تحولات الزمن السالبة نحوه، غير أنّ هذه القصيدة لم تدرس كثيرًا في ضوء النقد الحديث[٢]، ذلك أن أغلب المقاربات التي أنجزت حولها ظلت أسيرة القراءة التاريخيّة أو الأسلوبيّة، دون النظر في بينتها الثقافيّة وأنساقها المضمرة.

وتجدر الإشارة إلى أنّ هذه الدراسة تفيد من معطيات منهج النقد الثقافيّ كما عند (آراثر أيزابرجر) و(فنسنت ليتش) و(ستيفن غريبنلات) وغيرهم من رواد النقد

١ الأصمعي، أبو سعيد عبد الملك بن قُرَيْب، **الأصمعيات**، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبد السالم محمد هارون، دار المعارف، مصر، ط ٤، ١٩٧٦م، ص١٠٦-١١٠.

٢ من الدراسات العامة التي تناولت شعر دريد بن الصمة: السديس، محمد بن سليمان، **دريد بن الصمة: حياته و شعره**، مجلة كلية الآداب: جامعة الرياض – كلية الآداب، الرياض، السعودية، مج ٨ ، ١٩٨١م، ص٣٨٥ – ٤٣٧. والبستاني، بتول حمدي، **دالية دريد بن الصمة: دراسة أسلوبية**، آداب الرافدين: جامعة الموصل – كلية الآداب، العراق، ع ٥٥ ، ٢٠٠٨م، ص٦٨ – ٩٦. والباجورى، محمد عبدالدايم، **القيم الإنسانية في شعر دريد بن الصمة: رؤية نقدية**، فكر وإبداع: رابطة الأدب الحديث، ج١١٥ ، ٢٠١٧م، ص٦٣ – ١٢٠.

الثقافيّ في الغرب[1]، وكذلك عند عبدالله الغذامي ويوسف عليمات ونادر كاظم، في الممارسة العربية للنقد الثقافي[2].

وفي ضوء السابق تحاول هذه الدراسة أن تؤكد أن هذه القصيدة تمثل تحولًا زمنيًّا في شعور الشاعر اتجاه الزمن الذي قسا عليه، وقد تمثلت هذه التحولات بفقدان أخيه من أثر الحرب ثم تخلي زوجته عنه، وتهميش القبيلة لرأيه مع أنّه على صواب، مهمشة لرأيه، وناظرة إلى رأيه في ضوء قانون الإلغاء والإقصاء.

إن القراءة الفاحصة لهذه القصيدة تكشف، والحال هذه، وعبر جدلياتها وتوتراتها النصيّة، مركزيّة الفقد وهامشيّة الإنسان في الحياة؛ ومعاناة الشاعر إزاء هذا الفقد والهامشيّة، خاصة إذا كان الشاعر "شاعرًا فحلا"، و"رئيس قوم" يتخذ من القصيدة أداة للتعبير عن رؤاه المشحونة نحو الكون والحياة وجدلياتها من حوله.

وعليه فإن جملة المكونات الناظمة لنسيج هذه القصيدة/ النص، ذات إشاريات دالة ومنتجة على موقف هذا الشاعر المضاد والمختلف مع القبيلة، والواقع في إسار قهر الفقد، وتحولات الزمان السالبة.

وتأسيسًا على السابق قسمت هذه الدراسة إلى مقدمة وإطار نظريّ حول النقد الثقافيّ، وإجراء قسمت فيه القصيدة إلى ثلاث متواليات: المتوالية الأولى بعنوان: فقدان المرأة والحنين لها، والمتوالية الثانية بعنوان: القبيلة والرأي الأعمى، وفي المتوالية الثالثة

---

١ ايزابرجر ،آرثر، **النقد الثقافي تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية** ، ترجمة : وفاء إبراهيم ورمضان بسطاوي ، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط١، ٢٠٠٣م، ص٣١.

٢ القفاري، أميرة ، **قراءة النقد الثقافي للتراث الأدبي آفاق التلقي والتأويل** ، بحث نشر في الندوة الدولية الثانية الموسومة بـ:"قراءة التراث الأدبي واللغوي في الدراسات الحديثة"، جامعة الملك سعود، الرياض، السعودية، ٢٠١٤م، ص١٧.

بعنوان: فقدان الأخ وبكائيات الذكرى، وخاتمة عرضت فيها أبرز النتائج، وقائمة المصادر والمراجع .

١: الإطار النّظريّ: الزمن والشاعر والنقد الثقافي تأسيس نظري:

يمثل النقد الثقافيّ منهجًا جديدًا في نقد الأدب، ودراسة أنساقه الثقافيّة، وهو يسعى إلى الكشف عن الأنساق المضمرة، والمضمرات الخطابيّة التي يضمرها الخطاب أو النص بطرق وحيل نسقيّة مختلفة ومتباينة تصنعها الثقافة وأنظمتها ذاتها، وبطرق متحالية وحيل لوابة، والنقد الثقافيّ كما يرى آرثر نشاط بحثيّ، إذ يقول: "ومما لا ريب فيه أن النقد الثقافيّ نشاط وليس مجالاً معرفيًّا خاصًا بذاته"[١]، وفي ضوء هذا المفهوم لا يغدو النقد الثقافيّ منهجًا محدد الأدوات بل إن هذا المفهوم يجعل من النقد الثقافيّ نقدًا عابرًا للتخصصات مفتوحًا على مختلف العلوم والاتجاهات البحثيّة "فالنقد الثقافيّ نشاط فكريّ يتخذ من الثقافة بشموليتها موضوعًا لبحثه وتفكيره ويعبر عن مواقف إزاء تطوراتها وسماتها"[٢].

ويرى (إين نغ) أن النقد الثقافيّ منفتح على الاتجاهات المختلفة انفتاحًا غير محدود ولا يمكن أن يحد "فالنقد الثقافيّ الآن هو اسم لمجتمع متخيل يتميز بتعدديته وعالميته ولا مركزيته، ويتألف من الأكاديميين والنقاد المهتمين بالخطوط المتقاطعة للثقافة والمجتمع والسياسة"[٣].

---

١ ايزابرجر ،آرثر، **النقد الثقافي تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية** ، (م.س)، ص٣١.

٢ الرويلي، ميجان والبازعي، سعد، **دليل الناقد الأدبي : إضاءات لأكثر من سبعين تيارًا ومصطلحًا نقديًا معاصرًا** ، المركز الثقافي العربي – الدار البيضاء ، ط٣، ٢٠٠٢م، ص٣٠٥.

٣ الرويلي، ميجان والبازعي، سعد، **دليل الناقد الأدبي : إضاءات لأكثر من سبعين تيارًا ومصطلحًا نقديًا معاصرًا** ، المركز الثقافي العربي – الدار البيضاء ، ط٣، ٢٠٠٢م، ص٣٠٥.

وتأسيسًا على ذلك فإن الناقد الثقافيّ نسبة إلى النقد الثقافيّ يرى إلى النص أو الخطاب ولا مشاحة في الاصطلاح مجالاً مفتوحًا للدراسة والمقاربة، إذ "يعتبر أي "نص" أو نوع من "الخطاب" سواء أكان أدبيا أم غير أدبي، إنما هو مجال متاح، ومادة صالحة لعمله، باعتباره "علامة" تكشف عن مستويات متعددة –لا تعبر عن الأنساق الثقافيّة للمجتمع فحسب، وإنما تعبر أيضًا عن وعي الأمة بذاتها"[١] .

وفي إطار هذا فإن النقد الثقافيّ يهتم بدراسة الأنساق المضمرة كما تقدم ذكر ذلك "ومن هنا يتضح أن النقد الثقافيّ نشاطيّة نقديّة غايتها تفكيك الأنساق الثقافيّة المضمرة، وفعلها المضاد للوعي وللحس النقديّ، في سعيها إلى إعادة إنتاج قيم"[٢]، وعليه فإن الكشف عن الأنساق الثقافيّة المضمرة والتي تتحرك في المناطق اللاظاهرة أو مناطق العمى كما يرى (بول دي مان) في نقد أو في نظريته عن العمى والبصيرة في مقاربة النص الأدبيّ.

وترى أميرة القفاري في هذا السياق أن المعنى والأسلوب والمبنى هي موضوع للمقاربة النقديّة، تقول القفاري "إن النقد الثقافيّ يسعى للولوج إلى عمق النص؛ لتفكيك آثار هذه المنظومات الثقافيّة في الأدب بمبانيه، وأساليبه، ومعانيه، ومواضيعه"[٢]، وهو ما يشير إليه نادر كاظم، أن النقد الثقافيّ يعمل على"الاهتمام المكثف بالنص الأدبيّ

١ حسانين، أحمد رشاد، **النقد الثقافي محاولات عربية**، مجلة الأدباء: جمعية الأدباء، ع٩ ، ٢٠١٠م، ص٦٠.

٢ القفاري، أميرة ، **قراءة النقد الثقافي للتراث الأدبي آفاق التلقي والتأويل** ، (م.س)، ص١٧.

بالمعنى الجماليّ الضيق لصالح الاهتمام بالنص الثقافيّ"[١]، وهو هنا يتبنى تعريف عبدالله الغذامي وتصوره إزاء النقد الثقافيّ ووظيفته المهمة في تعرية الأنساق المضمرة.

ويرى يوسف عليمات أن "الغاية من النقد الثقافيّ Cultural Critique كما برز في كتابات غيرتز، وايستهوب، والتوسير، وفوكو، وآيزابرجر، إلى مساءلة نصوص التراث وأعراف المؤسسات الثقافيّة والأكاديميّة مساءلة واعية"[٢]، ولا ريب أن النقد الثقافيّ يستمد أدواته من الماركسيّة والنقد الاجتماعيّ ودراسات ما بعد الاستعمار، وغيرها من العلوم والمدرسيات النقديّة في السياسة وعلم النفس وعلم الاجتماع، إذ تعد أدوات هذه المدارس النقديّة وتصورتها المختلفة على تعارضها وتعددها" المهاد لأغلب أفكار النقد الثقافيّ"[٣].

وتعد فكرة الزمن فكرة فلسفية معقّدة متداخلة ومرتبطة بالإنسان منذ الأزل ذلك "أن الزمان هو الذي يحمل أمل الإنسان ويأسه، مجده وتفاهته، إنه الكيان الموجود الفاني"[٤]، والزمن هو "الروح المحركة للوجود"[٥]، ويعدُّ الزمن الذاتي هو الزمن الذي يعبر به الأديب/ الشاعر عن خلجات نفسه، وهو زمن شعوريّ نفسيّ، وهو ما عني به علم

---

١ نادر كاظم، **تمثيلات الآخر : صورة السود في المتخيل العربي الوسيط** ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٤م، ص٧١ .

٢ عليمات، يوسف، **النسق الثقافي : قراءة ثقافية في أنساق الشعر العربي القديم**، دار عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط١. ٢٠٠٩م، ص١.

٣ بدوي، عبد الرحمن، **الزمان الوجودي** ، دار النهضة المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٥٥ ،ص ٢٠

٤ صالح، بشرى موسى، **بوطيقيا الثقافة : نحو نظرية شعرية في النقد الثقافي** ، الشؤون الثقافية العامة – بغداد، ط١، ٢٠١٢م، ص٢٣.

٥ هنري، برغسون، **التطور الخالق**، ترجمة: محمد محمود قاسم، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، (د.س)، ص١٦.

النفس الذي اتخذ الإنسان موضوعًا له ككائن حي، يرغب ويحس ويدرك وينفعل ويتذكر ويتخيل ويفكر[١].

وفي إطار هذه الرُّؤية يصبح الزمن في وعي الشاعر ذا خصوصية، ترتبط بحاضره ومستقبله ولحظته الراهنة، ذلك أن "الزمن يتبلور بوصفه جزءا من الخبرة الذاتية للشاعر، إذا تعلق الأمر بالجانب الوجداني لهذه الذاتية، كما أنه يعد إلى جانب ذلك جزءا من خبرته العقلية؛ إذ إن إدراكه لماهية الأشياء من حوله، وتحولاتها وصيرورتها وبخاصة المحسوسات، والمجردة منها، مما يكون مبعثًا لتأملاته يصدر ضمن تجربة عاش أوارها الشاعر، وعايش محطاتها لحظة بلحظة"[٢]، وإذا كان الزمن مرتبطًا بالذاكرة فإن الذاكرة تظل ملحة على فكر الشاعر تستدعي اللحظة المنصرمة وتعيد تشكيلها، ذلك أنها كما يقول موريس هالبڤاكس: "تُحيي الماضي ولكن تُعيد تشكيله"[٣].

ولذا فإنه يمكننا القول إنّ قصيدة دريد بن الصِّمة التي تنمذجها هذه الدراسة تملك شعرية فائقة في تشخيص موقف الشاعر من الزمن ونقل إشكالاته وتحولاته، ففي هذه القصيدة يبدو الشاعر موزعًا بين زمنين ماضٍ وحاضر، هذا من جهة، وزمن قبلي وزمن ذاتيّ من جهة أخرى، مما يعلي من الزمن ثيمة مركزية تشف عن رؤيته للوجود

---

[١] صلاح الدين، عبير، **الزمن بين الفلسفة والفن**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ط١، ٢٠٠٧ م، ص ١٩: ص ٥٠.

[٢] فوغالي، باديس، **الزمان والمكان في الشعر الجاهلي**، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط١، ٢٠٠٨م، ص٨٩.

[٣] بوطيب، رشيد، **تراثنا هو الكون شذرات من خطاب في النسيان**، مجلة تبين للدراسات الفكرية والثقافية: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، مج٩, ع٣٣ ، ٢٠٢٠م، ص٥٧.

والقبيلة والأنا ... إلخ؛ ولذا فإن هذه الدراسة معنيّة بالكشف عن المضمرات الثقافيّة التي يتضمنها هذا النص الشعريّ، بوصف زمنًا يتعوذ بثقافة الماضي، ويهرب من ثقافة الزمن القبليّ المعيش.

٢: الإجراء: الشاعر وتحولات الزمن: قراءة في دالية دريد بن الصِّمة.

يسعى دريد بن الصِّمة بوصفه شاعرًا يتخذ من الشعر أداة للقول وترسيم رؤيته نحو الكون في داليته التي مطلعها " أرث جديد الحبل من أم معبد " بغية الكشف عن تحولات الزمن وأزمة القبيلة التي صورت فترة زمنيّة عاشها الشاعر بين ثلاثة تيارات نفسيّة مؤلمة ويتبين من خلال القراءة الفاحصة لهذه القصيدة الراهنة بأنّ الشاعر يعبر عن التحولات الزمنيّة السلبيّة التي كانت سببًا في حرمانه من ملذات الحياة والمعاناة الدائمة من ذلك الحرمان، ورفض سلطة القبيلة التي أثقلته بمخالفة أمره، وكذا في النهاية ببكاء أخيه الذي كان من أهم أسباب حزنه، قبل الوعد بالانتصار والحلم بالوعد.

ومن خلال القراءة العميقة للقصيدة يمكن تقسيم أبياتها إلى ثلاث متواليات رئيسيّة وفق التقسيم الآتي:

- المتوالية الأولى، وعنوانها : فقدان المرأة والحنين لها، وتمثلت في الأبيات (١ – ١١) ، ومطلعها:

أَرَثَّ جَدِيْدُ الحَبْلِ مِنْ أُمِّ مَعْبَدِ بِعَاقِبَةٍ وَأَخْلَقَتْ كُلَّ مَوْعِدِ [١]

- المتوالية الثانية، وعنوانها: القبيلة والرأي الأعمى، وتمثلت في الأبيات (١٢ – ٢٧) ومطلعها:

[١] الصمة، دريد، **ديوان شعر دريد بن الصمة**، تحقيق: عمر عبد الرسول، دار المعارف، القاهرة، ص٥٧.

وَقُلْتُ لِعَرِاضٍ وَأَصْحَاب عَارِضٍ وَرَهْطِ بَنِي السَّوْدَاء والقَوْمُ شُهَّدِي [1]

- المتوالية الثالثة، وعنوانها: فقدان الأخ وبكاؤه، وتمثلت في الأبيات (٢٨- ٤٦) ومطلعها:

دَعَانِي أَخِي وَالخَيْلُ بَيْنِي وَبَيْنَهْ فَلَمَّا دَعَانِي لَمْ يَجِدْنِي بِقُعْدَدِ [2]

ويمكن عبر هذه الخطاطة رسم صورة الزمن وإشكالاته المتمثلة في فكر الشاعر ودور القبيلة وزمنها الصارم والشاعر:

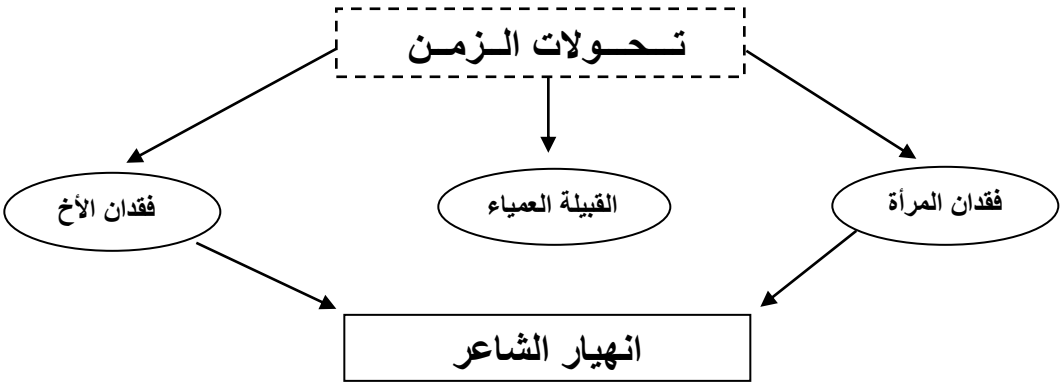

أولًا :المتوالية الأولى : الزمن الجميل والمرأة المثال.

أرثَّ جديد الحبل من أم معبد بعاقبة وأخلفت كل موعد
وبانت ولم أحمد إليك جوارها ولم ترج فينا ردة اليوم أو غد
من الخفرات لا سقوطا خمارها إذا برزت ولا خروج المقيد
وكل تباريح المحب لقيته سوى أنّني لم ألق حتفي بمرصد
وأنّي لم أهلك سلالا ولم أمت خفاتا وكلا ظنه بي عودي

[1] المصدر السابق، ص: ٥٩ .

[2] المصدر السابق، ص: ٦٢

كـأنّ حمـول الحـي إذ متـع الضـحى بناصـية الشـحناء عصـبة مـذود
أو الأثـأب العـم المحـرم سـوقه بـداءة لـم يخـبط ولـم يتعضـد
أَعـاذل مهـلا بعـض لومـك واقصـدي وإن كان علم الغيب عندك فارشدي
أعـاذلـتي كـل امـرئ وابـن متـاع كـزاد الراكـب المتـزود
أَعـاذل إن الـرزء فـي مثـل خالـد ولا رزء فيمـا أهلـك المـرء عـن يـد

تتشكل المتوالية الأولى في هذه القصيدة من فكرة "الزمن الجميل" و"المرأة المثال" التي بدأ الشاعر بها وعنها الحديث في مطلع قصيدته، وتركز هذه المتوالية على تجلية الأثر النفسيّ السالب على ذات الشاعر، فالمرأة بالنسبة إلى الشاعر كانت مصدرًا مهمًا من مصادر القوّة والإلهام التي يعتمد عليه الشاعر في حياته، ولذا فإن رحيل المرأة عنه أو فقدانه لها إشارة نسقيّة أولى على تحولات الزمن إزاء الشاعر، وقلبه له ظهر المِجَنّ، وانقلاب حاله، وتحولات اللحظة الزمنيّة من الفرح إلى الحزن، بوصفها أي المرأة وكذا فقدانها إشارة إلى تحوليّة جذريّة مركزيّة في حياة الشاعر، بما يثيره فقد الأنثى في نفس الشاعر لمختلف معاني الحياة من قبيل الخِصب واللذة والأمن التي تختزلها الأنثى/ المرأة للرجل على الدوام، خاصة إذا كانت هذه المرأة هي محبوبة الشاعر، ومدار قصائده، وحياته، إذ يتضح ذلك بقوله [١]:

أرث جديـد الحبـل مـن أم معبـد بعاقبـة وأخلفـت كـل موعـد
وبانـت ولـم أحمـد إليـك جوارهـا ولـم تـرج فينـا ردة اليـوم أو غـد
مـن الخفـرات لا سـقوطا خمارهـا إذا بـرزت ولا خـروج المقيـد

إن الحالة الزمنيّة السالبة التي أحاطت بالشاعر، وضيّقت عليه الفضاءات الرحبة، كانت كفيلة بأن يستذكر ماهية المرأة في حياته، ودورها في منح الذات معاني

[١] الصمة، دريد ، **ديوان شعر دريد بن الصمة**، ص ٥٧ – ٥٨ .

الجمال، وكما يشير يوسف عليمات بما يخص المقدمة الطللية بأنّها "تحمل في بنيتها نسقًا ثقافيًّا محوريًا فالشاعر يؤسس طقسيّة بكائيّة متعددة الوظائف والأبعاد ضمن النسق الأيديولوجيّ"[1]، وقيمتها التي شكلت الزمن الجميل لدى الشاعر، ومن شدة قهره يتحسر على أيامها ولياليها، ويلومها على إخلافها مواعيده "بعاقبة وأخلفت كل موعد..."، فهو دائب البحث عنها، يقول الشاعر:

أرث جديد الحبل من أم معبد بعاقبة وأخلفت كل موعد
وبانت ولم أحمد إليك جوارها ولم ترج فينا ردة اليوم أو غد

ويكشف الشاعر عن شدة شوقه للمرأة التي اتّصفت بالجمال والعفاف في إشارة إلى تعلقه بها، وكذا معنى وجودها ودروها في حياته هذا الشاعر، وتمثل الصورة الأنثويّة المرتبطة بالشاعر ارتباطًا عميقًا نسقًا ثقافيًّا لدى الشاعر تشكل بالبحث عن الانتصار لذاته المحطمة والمنكسرة فهو يعلل النفس بالشيء/ المرأة، ذلك أن امتلاك الأنثى، ومد حبال الوصال بها، وحيازتها يعني حيازة لذة الحب والجسد، مما يدل على رغبة الشاعر في مقاومة تحولات الزمن الضاغطة، والثقيلة، فقد كان حضورها الطاغي على حياته يشكل في الزمن الماضي معالم الحياة السعيدة المليئة بالمحبة والود والإخلاص.

ولا ريب أن الزمن المتوتر السلبيّ الذي يسيطر على الشاعر يجعل منه إنسانًا باحثا عن التخلص من هذه الحياة المؤلمة التي تسببت بانهياره " سوى أنّني لم ألق حتفي بمرصد " وبذلك إشارة لرفض الشاعر البقاء في هذه الحياة بعد تعرضه للحرمان

[1] عليمات ، يوسف ، **النقد النسقي: تمثيلات النسق في الشعر الجاهلي**، الأهلية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠١٥م، ص٣٣.

والفقد، ولعل ذلك يشير من جهة أخرى إلى ثقافة الذات الخبيرة بالحياة، والتي ترى في الموت خلاصًا، وهو ما يعبّر عنه الشاعر بقوله :١

وكـــل تبـــاريح المحـــب لقيتـــه سـوى أنّنـي لـم ألـق حتفـي بمرصـد
وأنّـي لـم أهلـك سـلالا ولـم أمـت خفاتـــا وكـــلا ظنـــه بـــي عـــودي

وفي هذه الأبيات صورة من صور مقاومة الذات للزمن يقابل الشاعر الحالة النفسيّة السالبة التي تعرض لها وبقي يعاني من آثارها تجاه بالرفض القطعيّ، فهو لا يعاني من الضعف بسب مرض ما، بل ينفي أنه أخفى حزنه وألمه الشديد على المصائب التي أحاطت به وسوف يعود إلى سابق عهده، وهنا يلحظ القارئ الفاحص لهذه الأبيات أنها بدأت تقود حركة تحول جذريّ في موقفه فبعد أن كان على وشك الانهيار بدأ بتغليب صوت العقل والحكمة.

يبين الشاعر من خلال هذه الأبيات نزعته للتخلص من أزمته النفسيّة المحيقة به ، وذلك من خلال مواساة نفسه ببعض من الألفاظ الموحية إلى الحريّة والتبدل والخلاص، يقول:٢

كـأنّ حمـول الحـي إذ متـع الضـحى بناصـــية الشـــحناء عصـــبة مـــذود
أو الأثـــأب العـــم المحـــرم ســـوقه بـــداءة لـــم يخـــبط ولـــم يتعضـــد

وفي إطار الدلالات السيميائيّة التي تحملها الآتية التي تكون بالطبع معمار هذه الأبيات وهي من قبيل: (حمول الحي ، متع ، الضحى ، مذود) يبرز لنا من

١ الصمة ، دريد ، **ديوان شعر دريد بن الصمة** ، ص ٥٨ .

٢ المصدر السابق ، ص ٥٨ –٥٩ .

خلال المعاني التي تنطوي عليها هذه الألفاظ دلالائل تتركز في البحث عن التحرر من سلطة الزمن وتقلباته التي جعلت من الشاعر إنسانًا عاجزًا أمام ثقافة قبليّة محطمة عمياء وغير مبصرة، وهنا يأتي الشاعر بمجموعة من الألفاظ في البيت الذي يليه (الأثأب، العم، المحرم ، داءة)؛ ليؤكد شموخه وعزته التي لا يمكن أن يتخلى عنه رغم ضعفه وقلة حيلته وحزنه الشديد على فقد المرأة المثال وفيما يلي اختلافه مع القبيلة وموت الأخ مكمل الذات وعضيدها .

وفي نهاية هذه المتوالية يصرُّ الشاعر على ذكر الماضي الأليم وتحولات الزمن السلبيّة، فبعد أن كان يتمتع بالمرأة الجميلة، والحياة الكريمة، أصبح في صراع مع الأنثى، ولكنها في هذه المرة تمثلت بصورة العاذلة التي تلومه على حبه لأخيه وحزنه الشديد عليه وهذه التحولات الدائبة والمتكررة في هذه الأبيات القصيرة تؤكد أن الشاعر يعيش أزمة نفسيّة كبيرة وتحولات كبيرة ، يقول الشاعر [1]:

أَعاذل مهلا بعض لومك واقصدي وإن كان علم الغيب عندك فارشدي
أعاذلتي كل امرئ وابن أمة متاع كزاد الراكب المتزود
أَعاذل إن الرزء في مثل خالد ولا رزء فيما أهلك المرء عن يد

إن صوت العاذلة يعد ضاغطًا نفسيًّا على الشاعر، ولذا فإنه أي الشاعر يحاول التفلت منه والرد عليه، من خلال "مقاومة العذل" وذلك بالطلب من المرأة العاذلة (أعاذل) أن تتمهل عن لومه وعذله (أَعاذل مهلا بعض لومك واقصدي...)، ويشير تكرار "ألفاظ العذل" في ثلاثة مواطن متتالية في الأبيات السابقة إلى شدة اللوم الذي يتعرض له الشاعر من قِبل المرأة، رغبة منها في تغير رأيه والتأثير عليه، بيد أنه يقابل

[1] المصدر السابق ، ص ٥٩ .

هذا الإصرار بإصرار شديد على صحة مذهبه، فثقافة البكاء على "الفحل/ خالد"، أمر لا فكاك منه، في حالة الشاعر مع أخيه، يقول الشاعر:

أَعــاذل إن الــرزء فــي مثــل خالــد ولا رزء فيمــا أهلــك المــرء عــن يــد

ويمكن الإشارة إلى أن صوت المرأة يعبر عن ثقافة القبيلة زمنها[١] وصوتها الرافض لصوت أنا الشاعر المتقلبة والمختلفة، فالعاذلة رمز القبيلة، والقبيلة هي التي تلومه وتعذله على مبالغته في حزنه على فقدان أخيه والحنين والشوق إلى الماضي الذي خسر فيه أيضًا كثيرًا من أوقاته التي تمثل محطات سعادة وعنفوان السلطة وغياب الانتصار، فلقد جاء هذا الموقف في هذا النص ليجسد موقفاً معارضاً يتخذ الشاعر تجاه رأي العاذلة وفلسفتها في لومه، وعذله، وتكرار هذا اللوم والعذل له إنما هو صورة لثقافة المجتمع[٢]، يقول الشاعر:

أَعــاذل مهــلا بعــض لومــك واقصــدي وإن كان علم الغيب عندك فارشدي
أعــاذلـــتي كـــل امـــرئ وابـــن متـــاع كـــزاد الراكـــب المتـــزود
أَعــاذل إن الــرزء فــي مثــل خالــد ولا رزء فيمــا أهلــك المــرء عــن يــد

[١] ينظر حول زمن القبيلة في المخيال العربي : وبريك، رحال، و هرهار، عبدالله. **زمن القبيلة و إشكالية السلطة و العنف في المجتمع الصحراوي**، مجلة عُمران للعلوم الاجتماعية: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، مج ١, ع م، ص٢٠١٣٢٣٧ ، ٤ – ٢٤٦.

[٢] ينظر حول صورة العاذلة وثقافة العذل في الشعر العربي القديم في: السنجلاوي، إبراهيم موسى، **العاذلة في الشعر الجاهلي**، المجلة العربية للعلوم الإنسانية: جامعة الكويت – مجلس النشر العلمي، مج ٧, ع ٢٨ ، ١٩٧٨م، ص٣٤ – ٥٨.

إن العذل في المخيال العربيّ يمثل صوت المجموع أي صوت القبيلة أطيافها كافة التي تنتوي أن تجعل من جل أفرادها مندغمين في بوتقتها، متماهين مع رؤيتها، في حين أن الشاعر يرفض هذا الصوت، ويقدم في وجهه حججه، وبراهينه على بطلان خطاب العذل بمختلف أركانه، مشكلاً خطابًا حجاجيًا يرد به خطاب العذل، ويفنده، فالقبيلة وعبر صوت العاذلة المندغمة مع رؤى القبيلة وصوتها المفرد تحاول أن تصون نفسها من الاختراق والضياع، في حالة مخالفة الأنا الشاعرة والممتلئة للمجموع، في حين لا يرتضي الشاعر أن يكون متسقًا برأي القبيلة في ضوء رفضها لرأيه في ما يلي من أبيات، ولذا فإنه حركته لتكون ثورة حجاجيّة في وجه القبيلة وصناع القرار فيها.

ثانيًا : المتوالية الثانية : القبيلة والرأي الأعمى

تتحدث هذه الأبيات التي تكون معمار القصيد في المتوالية الثانية عن موقف الشاعر المأزوم من قبيلته، التي عملت على تهميش رأي الشاعر وعدم الأخذ بنصحه والاستجابة له ، مما شكل مفارقة حادة في فكره ونسقه، على الرغم من أنّ الأخذ بذلك الرأي كان سبيلًا واضحة لإكمال النصر والظفر بالغنائم، فيرى أن الشاعر لما يزل قلقًا، لا يقر على رأي حتى يبدله، فهو وإن رأى أن مخالفتهم لرأيه سببٌ لكل مآسيه فإنه أي الشاعر ظل مع هذا متصلاً بهم، لم يتخلَ عنهم، ومارس فعل الاندماج بالقبيلة المخالفة لمذهبة ورأيه، فعلى الرغم من محاولة الشاعر الخروج على أمر قبيلته إلا أن قلق إزاء الاندغام بها أو الخروج عليها، فهو بعد أن خالف أمر العاذلة بالبكاء على أخيه في المتوالية السابقة يبدو حائرًا وعائدًا إلى الانسباك بالقبيلة من جديد، ذلك أن هذا المقطع "كشف عن اندغام الذات في سلطة القبيلة التي باتت كأنها هوية الشاعر

التي لا يجد منها مخرجا، ولا عنها محيدًا؛ ... إذ تندغم الأنا في أل (هو/القبيلة)، وهنا تشكل نص السلطة"[١]، وغيرها يقول الشاعر ٢:

وَقُلتُ لِعارِضٍ وَأَصحابِ عارِضٍ ... وَرَهطِ بَني السَوداءِ وَالقَومُ شُهَّدي
عَلانِيَةً ظُنّوا بِأَلفَي مُدَجَّجٍ ... سَراتُهُمُ في الفارِسِيّ المُسَرَّدِ
وَقُلتُ لَهُم إِنَّ الأَحالِيفَ أَصبَحَت ... مُطَنِّبَةً بَينَ السِتارِ فَثَهمَدِ
فَما فَتِئوا حَتّى رَأَوها مُغيرَةً ... كَرِجلِ الدِبى في كُلِّ رَبعٍ وَفَدفَدِ
وَلَمّا رَأَيتُ الخَيلَ قُبلًا كَأَنَّها ... جَرادٌ يُباري وِجهَةَ الريحِ مُغتَدي
أَمَرتُهُمُ أَمري بِمُنعَرَجِ اللِوى ... فَلَم يَستَبينوا النُصحَ إِلّا ضُحى الغَدِ
فَلَمّا عصوني كُنتُ مِنهُم وَقَد أَرى ... غِوايَتَهُم وَأَنَّني غَيرُ مُهتَدي
وَما أَنا إِلّا مِن غَزِيَّةَ إِن غَوَت ... غَوَيتُ وَإِن تَرشُد غَزِيَّةُ أَرشَدِ

يؤكد الشاعر من خلال مطلع هذه المتوالية بأنّه قدم النصح لقومه علانية، وقال لهم إن العدو بات على التخوم، وأنه يجب أن يأخذ القوم الحيطة والحذر من الآخر/ العدو إلا أنّ قومه لم يطيعوه، وتمسكوا برأيهم الأعمى، الذي تسبب بالهزيمة لهم، ذلك أن العدو في رؤية الشاعر المستشرف والرائي مجهز تجهيزًا يمكنه من الغلبة في المعركة، هكذا يجسد هذا الفعل الرؤيويّ والاستشرافيّ الذي يتجلى في خطاب الشاعر رعيته في حماية بيضة القبيلة من صروف الزمن، وتحولاته، وأعبائه، ولا ريب أن ثمة تقابلا بين زمنين هما زمن القبيلة الجمعيّ، وزمن الشاعر الفرديّ.

---

[١] آل قاسم، قاسم بن أحمد بن عبدالله، **ثنائية سلطة النص ونص السلطة في الشعر العربي: دالية دريد بن الصمة أنموذجا**، مجلة جامعة طيبة للآداب والعلوم الإنسانية: جامعة طيبة – كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مج٧, ع١٥ ، ٢٠١٨م، ص ١٩٢ – ١٩٣.

[٢] الصمة ، دريد ، **ديوان شعر دريد بن الصمة** ، ص ١٢ – ١٩ .

ولعل عدم أخذهم بهذا الرأي أشعرت الشاعر بمفارقات الهُويّة وجدليات الولاء والبراء لهذه القبيلة التي تتخذ من الرأي الأعمى رأيًا لها في حين أنها تتخذ من الآراء الأخرى الضالة وغير الحكيمة رأيا لها، يقول الشاعر [1]:

وَقُلتُ لِعارِضٍ وَأَصحابِ عارِضِ وَرَهطِ بَني السَوداءِ وَالقَومُ شُهَّدي
عَلانِيَةً ظُنّوا بِأَلفَي مُدَجَّجٍ سَراتُهُمُ في الفارِسيّ المُسَرَّدِ
وَقُلتُ لَهُم إِنَّ الأَحاليفَ أَصبَحَت مُطَنَّبَةً بَينَ السِتارِ فَثَهمَدِ

وفي هذه الأبيات السابقة لا فكاك من الإشارة إلى صورة الذات كما تنمذجها ذات الشاعر، ذلك أنه أي الشاعر يمثل صورة العرّاف أو المتنبئ الذي يمتلك رؤية استشرافيّة لما سيحدث، وهي بالطبع، صورة إيجابيّة، ومشرقة، ومختلفة، ترسمها الذات الشاعرة لنفسها، إلا أنّ هذا الصوت الرائي والواضح والمستشرف كان مهمّشًا، إلا أنه تحمل مسؤولية الدفاع عن القبيلة، ومحاولة الحفاظ على مجدها، وصون بيضتها، فالشاعر لا يكتفي بالتنبؤ بل إنّه يؤكد أنّ رؤيته كانت صحيحة فهي تعكس تحققات الرؤية الفعليّة، فقد جاء العدو وأقبلت خيله، وتحوّل الزمن الراهن من لحظة النصر إلى لحظة الهزيمة، ولهذا فإن الصدمة التي حاقت بالشاعر بسبب الواقع المأساوي والمتوقع في رؤيته الاستشرافية جعله يواجه يعن لزمن القبيلة الجمعي ورؤيتها المختلفة عن رؤيته.

وهنا يستمر الشاعر في وصف حالته النفسيّة المهزومة، والسالبة، التي تعرضت لها ذاته في ضوء تحولات زمنية كانت سببا في انهياره وتشتيت فكره، ورغم

[1] الصمة ، دريد ، **ديوان شعر دريد بن الصمة** ، ص ١٢ – ١٣ .

هذا يؤكد الشاعر من خلال الأبيات الآتية ثقافة الوفاء للقبيلة رغم تهميشها لرأيه وعدم استجابتها لنصحه ورأيه الصواب، يقول الشاعر[١] :

فَلَمّا عصوني كُنتُ مِنهُم وَقَد أَرى غِـــوايَتَهُم وَأَنَّنـــي غَيـــرُ مُهتَـــدي
وَمـا أَنـا إِلّا مِـن غَزِيَّـةَ إِن غَـوَت غَوَيـــتُ وَإِن تَرشُـــد غَزِيَّـــةُ أَرشَـــدِ

ومن خلال الأبيات السابقة يتبين لنا أن ثمة ضربًا من التضاد بين رأي القبيلة العمياء \ وتمسك الشاعر بقبيلته والوفاء لها" وَما أَنا إِلّا مِن غَزِيَّةَ إِن غَوَت ...." ، وهنا يطغى صوت القبيلة على صوت الذات، فهنا تبرز ثيمة التضاد بين صورتين للذات الإنسانيّة في هذا النص الشعريّ: الصورة الأولى تتمثل في صورة الذات الفادية التي تقدم جسدها قربانًا بُغية حماية كيان المجموع القبليّ، وصورة الجماعة الإنسانيّة المراوغة الخادعة للنموذج أو على الأقل التي ليست منسبكة بهموم القبيلة والذات كما يفعل الفرد الواحد، فالشاعر ينجر وراء رأي القبيلة الأعمى ، ويتضح هنا انتماؤه إلى قبيلته على الرغم من كل ما حدث " فلما دعاني لم يجدني بقعدد" ، وبسبب رأي القبيلة الأعمى خسرت قبيلته فارسًا قائدًا ملهمًا " أردت الخيل فارسًا ".

يتحول الشاعر من البيت (٢٠- ٢٧) إلى وصف ساحة المعركة ومشاهد القتال، وهو يقدم روحه فداءً لنصرة القبيلة، وإنقاذ القائد/ أخيه الذي تخطفته يد المنون بسبب عدم قبول القبيلة لنصحه ورأيه الصواب، وهنا يحضر قلق الشاعر وحيرته من الولاء والبراء تجاه القبيلة، يقول الشاعر:٢

دَعـاني أَخـي وَالخَيـلُ بَينـي وَبَينَـهُ فَلَمّـا دَعـاني لَـم يَجِـدني بِقُعـدَدِ
أَخـــي أَرضَـــعَتني أُمُّـــهُ بِلِبانِهـــا بِثَـــدي صَـــفاءٍ بَينَنـــا لَـــم يُجَـــدَّدِ

[١] المصدر السابق ، ص ٦٢

[٢] المصدر السابق ، ص٢٦ – ٦٥ .

تَنــادوا فَقــالوا أَردَتِ الخَيــلُ فارِسًــا فَقُلــتُ أَعَبــدُ اللهِ ذَلِكُــمُ الــرَدي
غــداة دعــاني وَالرِمــاحُ يَنشُــنهُ كَوَقعِ الصَياصي فـي النَسيجِ المُمَدَّدِ
وَكُنـتُ كَـذاتِ البَـوِّ ريعَـت فَأَقبَلَـت إِلــى جَلَــدٍ مِــن مَســكِ سَــقبٍ مُقَــدَّدِ
فَطاعَنـتُ عَنـهُ الخَيـلَ حَتّـى تبـدت وَحَتّــى عَلانــي حَلِــكُ اللَــونِ أَســوَدِ
طعــان اِمــرِئٍ آســى أَخــاهُ بِنَفسِــهِ وَيَعلَــمُ أَنَّ المَــرءَ غَيــرَ مُخَلَّــدِ
فَمــا رِمــتُ حَتّــى خَرَّقَتنــي رِمــاحُهُم وَغــودِرتُ أَكبــو فــي القَنــا المُتَقَصِّــدِ

فـي هذا السياق يستهل الشاعر مطلع هذه المتوالية وهي متوالية نصيّة في ضوء متوالية كبرى بوصفه المشهد الذي ترك فيه نفسه حزنًا شديدًا وحالة نفسيّة ربما هي الأصعب في المعركة كلها؛ لأنه تتمثل في دعوة أخيه لإنقاذه إلا أنّه لم يتمكن من ذلك، "دعاني أخي ....." والمانع " الخيل بيني وبينه " ومع ذلك المانع الشديد عن هذه النصرة فإنه تقدّم لنصرته " لم يجدني بقعدد" ولم يبالِ بذلك واقتحم الوغى، يقول الشاعر:

دَعــاني أَخــي وَالخَيــلُ بَينــي وَبَينَــهُ فَلَمّــا دَعــاني لَــم يَجِــدني بِقُعــدَدِ
أَخــي أَرضَــعَتني أُمُّــهُ بِلِبانِهــا بِثَــديٍ صَــفاءٍ بَينَنــا لَــم يُجَــدَّدِ

في هذه الأبيات ما يزال الشاعر يقدم التضحية من أجل نصرة القبيلة والدفاع المستميت عن سلطتها، ويبدو الشاعر فارسًا وحكيمًا فهو مقبل على الموت بكل عزيمة وإصرار؛ لانّه مدرك بحقيقة كونيّة بأنّ الإنسان غير مخلّد وتوجب عليه أن يقاتل وأن يطاعن حتى: "فَما رِمتُ حَتّى خَرَّقَتني رِماحُهُم...."، يقول:

فَمــا رِمــتُ حَتّــى خَرَّقَتنــي رِمــاحُهُم وَغــودِرتُ أَكبــو فــي القَنــا المُتَقَصِّــدِ

ثالثًا: المتوالية الثالثة: فقدان الأخ وبكائيات الذكرى

يبدأ الشاعر هذه المتوالية الراهنة باسترجاع ملامح أرشيف الأخ وتفاصيلها، وذكريّات الذات مع ذلك الأخ، ولذا فإنّه يصفه ويبكيه، باعتباره نموذجًا للنضال ورمزًا للتضحية في سبيل نصرة سلطة القبيلة، والذَّود عن بيضتها، وهنا يظهر الشاعر من خلال هذه الأبيات وصفه لأخيه معبّرًا عن الذات المحطمة التي سُقيت بمرارة الزمن السالب وتحولاته التي أرهقت فكره، وأرَّقت عينه، إذ يمثل "الفقد" هنا ثيمة مركزيّة في هذه المتوالية تعبر عن مركزيّة ثقافة الأخوة في الثقافة التي ينتمي إليها الشاعر، وفداحة خسارته الممثلة بموت أخيه، يقول [١]:

فَإِن يَكُ عَبدُ اللهِ خَلّى مَكانَهُ ... فَما كانَ وَقّافًا وَلا طائِشَ اليَدِ
وَلا بَرِمًا إِذا الرِياحُ تَناوَحَت ... بِرَطبِ العِضاهِ وَالهَشيمِ المُعَضَّدِ
كَميشُ الإِزارِ خارِجٌ نِصفُ ساقِهِ ... صَبورٌ عَلى العَزاءِ طَلّاعُ أَنجُدِ
رَئيسُ حُروبٍ لا يَزالُ رَبيئَةً ... مُشيحًا عَلى مُحقَوقِفِ الصُلبِ مُلبِدِ
صبور على رزء المصائب حافظ ... من اليوم أدبار الحديث في غدِ
تَراهُ خَميصَ البَطنِ وَالزادُ حاضِرٌ ... عَتيدٌ وَيَغدو في القَميصِ المُقَدَّدِ
وَإِن مَسَّهُ الإِقواءُ وَالجَهدُ زادَهُ ... سَماحًا وَإِتلافًا لِما كانَ في اليَدِ
له كل من يلقى من الناس واحد ... إن يلقى مثنى القوم يفرح ويزدد
صَبا ما صَبا حَتّى عَلا الشَيبُ رَأسَهُ ... فَلَمّا عَلاهُ قالَ لِلباطِلِ اِبعَدِ
وَهَوَّنَ وَجدي أَنَّني لَم أَقُل لَهُ ... كَذَبتَ وَلَم أَبخُل بِما مَلَكَت يَدي
وهوّن وجدي إنما هو فارط ... أمامي وأنّي وارد اليوم أو غدِ
فَلا يُبعِدَنكَ اللهُ حَيًّا وَمَيِّتًا ... وَمَن يَعلُهُ رُكنٌ مِنَ الأَرضِ يَبعُدِ
فَإِن تُعقِبِ الأَيّامُ وَالدَهرُ تَعلَموا ... بَني قارِبٍ أَنّا غِضابٌ بِمَعبَدِ
وَغارَةٍ بَينَ اليَومِ وَالأَمسِ فَلتَةٍ ... تَدارَكتُها رَكضًا بِسيدٍ عَمَرَّدِ

[١] الصمة ، دريد ، **ديوان شعر دريد بن الصمة** ، ص٦٥ – ٧٣ .

سَليمِ الشَظى عَبلِ الشَوى شَنِجِ النَسا طَويـــلِ القَـــرا نَهـــدٍ أَســـيلِ المُقَلَّـــدِ
يَفــوتُ طَويــلَ القَــومِ عَقــدُ عِــذارِهِ مُنيـــفٌ كَجِـــذعِ النَخلَـــةِ المُتَجَـــرِّدِ
إِذا هَـــبَطَ الأَرضَ الفَضـــاءَ تَزَيَّنَـــت لِرُؤيَتِـــــهِ كَالمَـــــأتَمِ المُتَبَـــــدِّدِ
وَتُخـــرِجُ مِنـــهُ صَـــرَّةُ القَـــومِ جُـــرأَةً وَطـــولُ السُـــرى ذَرِيَّ عَضـــبٍ مُهَنَّـــدِ
فَكُنـــتُ كَـــأَنّي واثِـــقٌ بِمُصَـــدَّرٍ يُمَشّـــي بِأَكنـــافِ الحُبَيـــبِ بِمَشـــهَدِ

يعبر الشاعر عن الماضي بوصفه نافذة تهون عليه التعقيد النفسيّ وما يعانيه، مستخدمًا الزمن الماضي الذي يفتخر به ملاذًا من أزمة الزمان الحاضر، ولذا فإن يحاول أن يخلد من خلال هذه الاستدعاء المكثف للزمن المنصرم القيمة القياديّة لأخيه/ القائد، إذ يحرص الشاعر على بيان صفاته وخِلاله ومناقبه، محاولاً أن ينفي عن أخيه كل ما يمكن أن يكون عيبًا يؤخذ على أخيه، إذ يقول: " فما كان وقافًا ولا طائش اليد "، ليؤكد صورة العطاء الذي يتحلى بها أخو الشاعر، الذي ينتمي إلى أرومة الشاعر ذاتها، يقول الشاعر:

فَإِن يَكُ عَبدُ اللهِ خَلّى مَكانَهُ فَمـــا كـــانَ وَقّافًـــا وَلا طـــائِشَ اليَـــدِ

إن الشاعر هنا يستحضر صورة البطل التي ترمز إلى المثالية في التضحية والفدائيّة في سبيل الدفاع عن سلطة القبيلة، بوصفه رمزًا في حسن الخلق والإحسان إلى البشر، ومن خلال استحضار روح أخيه الغائبة/ الحاضرة في ذاكرة الشاعر، مستخدمًا لها بوصفها نوعًا من مواجهة الهموم والأحزان، يقول [1]:

وَلا بَرِمًـــا إِذا الرِيـــاحُ تَناوَحَـــت بِرَطـــبِ العِضـــاهِ وَالهَشـــيمِ المُعَضَّـــدِ

[1] الصمة ، دريد ، **ديوان شعر دريد بن الصمة** ، ص٦٥ – ٧٣ .

كَمـــيشُ الإزارِ خـــارِجٌ نِصـــفُ ســـاقِهِ صَـــبورٌ عَلـــى العَـــزاءِ طَـــلّاعُ أَنجُـــد
رَئـــيسُ حُـــروبٍ لا يَـــزالُ رَبيئَـــةً مُشـــيحًا عَلـــى مُحقَوقِـــفِ الصُـــلبِ مُلبِـــدِ

يبوح الشاعر في هذه الأبيات بالصفات الكريمة لأخيه " عبد الله " محاولًا مقاومة الزمن من خلال التذكر ، فهو يتذكر الأرشيف الخاص بأخيه ليقاوم الزمن الراهن، ذلك أن الزمن الماضي في الذهنيّة العربيّة وكما يتبدى ذلك في القصيدة العربيّة ظل ملاذًا من أزمات الحاضر ومراراته، إذ فإنّ انفتاح الذاكرة الشعريّة على ما تختزنه من ذكريات الزمن الماضي يمثل أمام الذات ملجأ تهرب إليه حين يعجزها قبول الواقع المعيش أو الاستسلام له، ولأن الزمن مرتبط بالذات، وأن الزمن تلون بفعال الإنسان، ويكسب قيمته من الإنسان الذي يحياها، فقد تمثل الشاعر فلسفة الزمن على اعتبار "أن قيمة الزمان تحددها قيمةَ الإنسان في الوجود"[١].

إنّ الشاعر يستذكر كرم أخيه وشجاعته وصبره وقيادته الحكيمة للحرب "رئيس حروب..."، وهي صفات لا تجتمع إلا في نموذج مثله، رغبة منه في ترميم الذات المنكسرة، وإعادة هيكلة مركزيتها مرة أخرى، من خلال التذكر والاندغام في بكائيات الزمن الجميل.

ينتقل الشاعر من مدح الأخ وتعداد صفاته من الكرم وغيرها إلى الحديث عن مرحلة الغواية التي عاشها أخوه في فترة من فترات حياته، وهي غواية ترتبط بقدرة الذات الفحوليّة وامتلائها، يقول الشاعر [٢]:

صَبا ما صَبا حَتّى عَلا الشَيبُ رَأسَهُ فَلَمّـــا عَـــلاهُ قـــالَ لِلباطِـــلِ اِبعَـــدِ

[١] كموني، خالد، **الشيمية والزمانية في الذهن العربي**، مجلة تبين للدراسات الفكرية والثقافية: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، مج٥, ع١٩ ، ٢٠١٧م، ص١٧.

[٢] الصمة، دريد، **ديوان شعر دريد بن الصمة** ، ص٦٥ – ٧٣ .

إنّ الحديث عن مرحلة الغواية عن أخيه ومدحها بهذه الصورة أمر يحاول الشاعر من خلاله أن يصل إلى الفخر والنصرة للذات التي فارقت الحياة "أخوه"، على اعتبار أن اللهو والعالم اللاهي الذي كان أخوه منخرطًا به مؤشرًا على فحولته، ومركزيته في القبيلة، والناظر فى الشعر العربيّ يلحظ أن الغواية أمر يمثل صورة إيجابيّة بالنسبة إلى الرجل في شبابه/ زمن الغواية؛ لأنّها تدل على فحولته واكتمال رجولته .

ويظهر صوت الحكمة عند الشاعر من خلال الأبيات اللاحقة، إذ يبدو الشاعر من خلالها حكيمًا متزنا يحاول مواساة نفسه بالصبر والتّصبّر على ما أبدت له الأيام من فراق أخيه المرّ والموجع، يقول [1]:

وَهَوَّنَ وَجدي أَنَّني لَم أَقُل لَهُ كَذَبتَ وَلَم أَبخُل بِما مَلَكَت يَدي
وهوّن وجدي إنما هو فارط أمامي وأنّي وارد اليوم أو غدِ

إنّ الشاعر يعلّل نفسه بالآمال وهنا يبدو مأخوذًا بفلسفة الموت مؤكدًا لذاته في حديث مونولوجيّ داخليّ بين الشاعر وذاته بأنّه سوف يلحق بأخيه ويلقى حتفه، إيمانًا مطلقًا بحقيقة الموت، ولعل هذه الحقيقة الكونيّة الثابتة منذ الأزل تجيء بوصفها سببًا كافيًا يدفع الشاعر للصبر على فقدان أخيه، وتحمل مغبات ذلك، أما استخدام الشاعر للفعل (هوّن) فهي دعوة لنفسه للتمسك بعزة النفس والشموخ والرفعة، على أن التكرار يؤكد رغبة الذات في تجاوز المرحلة والانتقال إلى غيرها.

[1] المصدر السابق، ص٦٥ – ٧٣ .

يستغل الشاعر مدح أخيه، ليظهر الوفاء لقبيلته من خلال إظهار عناصر القوة والاعتزاز بها؛ لأنّ التفاخر بمصادر القوة يجعل من الشاعر نموذجًا للإنسان الذي انتصر لنفسه بأرشيف الذكريات الزمنيّة الماضية الذي يعدّها الشاعر شاهدًا على تحولات الزمن المتوالية، فيقول [١]:

فَإِن تُعقِبِ الأَيّامُ وَالدَهرُ تَعلَموا بَني قارِبٍ أَنّا غِضابٌ بِمَعبَدِ
سَليمِ الشَظى عَبلِ الشَوى شَنِجِ النَسا طَويلِ القَرا نَهدٍ أَسيلِ المُقَلَّدِ
يَفوتُ طَويلَ القَومِ عَقدُ عِذارِهِ مُنيفٌ كَجِذعِ النَخلَةِ المُتَجَرِّدِ
إِذا هَبَطَ الأَرضَ الفَضاءَ تَزَيَّنَت لِرُؤيَتِهِ كَالمَأتَمِ المُتَبَدِّدِ
وَتُخرِجُ مِنهُ صَرَّةُ القَومِ جُرأَةً وَطولُ السُرى ذَرِيَّ عَضبٍ مُهَنَّدِ
فَكُنتُ كَأَنّي واثِقٌ بِمُصَدَّرٍ يُمَشّي بِأَكنافِ الحُبَيبِ بِمَشهَدِ

إن هذه الأبيات يمكن أن تقرأ بوصفها تهديدًا من الشاعر يؤكد به من أنه سوف يقوم بالأخذ بالثأر والانتقام لأخيه، أو ما يسمى بحلم الانتصار[٢]، فهو يخبرهم بأنّه سيركب الخيول ويعيد مجد أخيه الضائع، ولعل ثقافة التهديد من الشاعر هي محاولة يرغب من خلالها أن يعيد لأخيه الشرف المسلوب، الذي تسببت به القبيلة، ضمنًا، حين خالفت أمره، وأصرت على دخول الحرب التي نصحها الشاعر بتجنبها.

ولا فكاك من القول: إنّ الخيل في ثقافة العرب هي المساعدة على بلوغ الغاية، وإنها انعكاس للذات أو معادل موضوعيّ لها، بوصفها قناعًا، ولذا فإن الشاعر يستعين بالخيل، ليبثّ من خلال قناعها رؤيته، إضافة إلى أن اختياره مركزة ثيمة التهديد في

---

[١] المصدر السابق، ص٧١ .

٢ البستاني، بتول حمدي، **دالية دريد بن الصمة: دراسة أسلوبية**، آداب الرافدين: جامعة الموصل – كلية الآداب، ع ٥٥ ، ٢٠٠٨م، ص٧١.

مختتم القصيدة وعي بوظيفة الخاتمة في العمل الأدبيّ، إذ تصبح الخاتمة خلاصة الرؤية التي يتبناها الشاعر إزاء الزمن والقبيلة والآخر/ حامل دم أخيه.

إنّ الفرس في هذه الأبيات قناع نسقيّ مرتبط بثقافة الثأر الشاعر ضد الزمن والقبيلة والزمان المتحول والآخر المعادي، إذ إن الفرس هنا ليست إلا قناعًا يرتديه الشاعر نفسه في سبيل قولبة ثيمات تمور في نفسه؛ إذ لا أداة تمكّنه أي الشاعر من بلوغ آماله ورغباته، بتجاوز زمنيّة الفقد والرأي القبليّ غير الصائب، والنزوع نحو مستقبل متفائل باستعادة السلطة، ويبدو إلحاح الشّاعر هنا على ترسيم صورة للخيل بهذه الصورة إضمارًا لرغبته في تأسيس العالم الجديد الذي يرنو إليه، ولذا فإن استدعاء عالم الخيل هو في أصله عملية تطهيريّة لما خلفته إحداثيات الزمن السالب في نفس الشاعر.

الخاتمة

حاولت هذه الدراسة الراهنة أن تكشف عن تحولات الزمن في دالية دريد بن الصِّمة، في ضوء دراستها دراسة نقديّة ثقافيّة، فبينت كيف تبدل الزمن على الشاعر، وكيف غدا الشاعر متأثرًا بتوتراته وتحولاته السالبة والمتوالية، وكيف أنه عاش في ظل هذه الظروف الصعبة قلقًا وجوديًّا وواقعًا مأزومًا، وقد بينت الدراسة الفاحصة للنص المراحل الزمنيّة التي عاشها الشاعر وتحولاتها وتداخلها، بما يجعل من الزمن فكرة مركزيّة في ذهن الشاعر ونفسه.

وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج التي أغنت البحث، وأكدت أن هذه القصيدة تمثل نصًا متوترًا، يعكس أزمة الذات، وقلقها، وهي قصيدة تتجاور فيها ثيمة الرثاء مع ثيمة تأكيد الذات، وترسيم صورتها المتفردة، ذلك أن هذا النص المُنتِج

والمختلف استطاع في ضوء بنيته النصيّة المتوترة أن يكشف من آثار الفترات الزمنيّة السالبة التي عاشها الشاعر بعد فقدان المرأة المثال وتهميش القبيلة وموت أخيه.

وقد أكدت هذه القراءة الفاحصة أن هذه القصيدة لا تعد من قصائد الرثاء، أو نصًا رثائيًّا خالصًا، كما شاع عنها في الوسط النقديّ الأدبيّ، فهي قصيدة متعددة الأغراض إلا أنها متحدة في بناء واحد يشكل الوحدة الأساسيّة لهذه القصيدة، وهو محاولتها نقل صراعات الشاعر الداخليّة، وتحولاته، تجاه تحولات الزمن، ورغبته في الانتقام لأخيه، والانتصار للذات المسلوبة، وتأكيد بطلان رأي القبيلة؛ مما يجعل من هذه القصيدة بالطبع قصيدة متوترة زمنيًّا وتاريخيًّا وأرشيفيًّا من حيث بنيتها القلقة ولغتها الدالة، فهي تنطوي على رؤية متوترة تتمحور حول معاناة الذات وهي تواجه محنة الزمن وعذاباته.

إنّ اهتمام الشاعر بخطاب الأنا الذاتية وأنا الأخ التي يرسّم تفاصيلها لأخيه تشف، لأول وهلة، في ظلال سطوة الزمن عن علاقة جدليّة يحياها الشاعر، كما وتشف عن إشكالية مركزيّة مع الفضاء الإنسانيّ والقبليّ والزمانيّ، الذي يصارعه الشاعر، ويحاول مقاومته.

إن تهميش الذات و موت الأخ وهزيمة القبيلة وفساد رأيها ودفعها بأخيه إلى حتفه تبدو في فكر الشاعر كما ينمذجها في هذه القصيدة ثيمًا ومتواشجة ومنسجمة اجتمعت على نفسه ممثلة ضاغطًا نفسيًّا وزمنيًّا يمركز مفاهيم من قبيل القهر والتشاؤم في خطابه ونفسه.

قائمة المصادر والمراجع

١. الأصمعي، أبو سعيد عبد الملك بن قُرَيْب، **الأصمعيات**، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف، مصر، ط٤، ١٩٧٦م.

٢. آل قاسم، قاسم بن أحمد بن عبدالله، **ثنائية سلطة النص ونص السلطة في الشعر العربي: دالية دريد بن الصمة أنموذجا**، مجلة جامعة طيبة للآداب والعلوم الإنسانية: جامعة طيبة – كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مج٧, ع١٥ ، ٢٠١٨م.

٣. ايزابرجر، آرثر، **النقد الثقافي تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية**، ترجمة : وفاء إبراهيم ورمضان بسطاوي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط١، ٢٠٠٣م، ص٣١.

٤. الباجورى، محمد عبدالدايم، **القيم الإنسانية في شعر دريد بن الصمة: رؤية نقدية**، فكر وإبداع: رابطة الأدب الحديث، ج١١٥ ، ٢٠١٧م.

٥. البستاني، بتول حمدي، **دالية دريد بن الصمة: دراسة أسلوبية**، آداب الرافدين: جامعة الموصل – كلية الآداب، ع ٥٥، ٢٠٠٨م.

٦. بوطيب، رشيد، **تراثنا هو الكون شذرات من خطاب في النسيان**، مجلة تبين للدراسات الفكرية والثقافية: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، مج٩, ع٣٣ ، ٢٠٢٠م.

٧. حسانين، أحمد رشاد، **النقد الثقافي محاولات عربية**، مجلة الأدباء: جمعية الأدباء، ع٩ ، ٢٠١٠م.

٨. الرويلي ، ميجان والبازعي ، سعد ، **دليل الناقد الأدبي : إضاءات لأكثر من سبعين تيارًا ومصطلحًا نقديًا معاصرًا** ، المركز الثقافي العربي – الدار البيضاء ، ط٣، ٢٠٠٢م، ص٣٠٥.

٩. السديس، محمد بن سليمان، **دريد بن الصمة: حياته و شعره**، مجلة كلية الآداب: جامعة الرياض – كلية الآداب، مج٨، ١٩٨١م.

١٠. سنجلاوي، إبراهيم موسى، **العاذلة في الشعر الجاهلي**، المجلة العربية للعلوم الإنسانية: جامعة الكويت – مجلس النشر العلمي، مج ٧, ع ٢٨ ، ١٩٧٨م.

١١. صالح، بشرى موسى، **بوطيقيا الثقافة: نحو نظرية شعرية في النقد الثقافي**، الشؤون الثقافية العامة – بغداد، ط١، ٢٠١٢م.

١٢. صلاح الدين، عبير، **الزمن بين الفلسفة والفن**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ط١، ٢٠٠٧ م.

١٣. الصمة، دريد، **ديوان شعر دريد بن الصمة** ، تحقيق: عمر عبد الرسول، دار المعارف، القاهرة.

١٤. عليمات، يوسف، **النسق الثقافي: قراءة ثقافية في أنساق الشعر العربي القديم**، دار عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط١. ٢٠٠٩م.

١٥. ــــــــــــ، **النقد النسقي: تمثيلات النسق في الشعر الجاهلي**، الأهلية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠١٥م.

١٦. الغذامي، عبدالله ، **قراءة في الأنساق الثقافية العربية**، المركز الثقافي العربي – الدار البيضاء ، ط٣، ٢٠٠٥م.

١٧. فوغالي، باديس، **الزمان والمكان في الشعر الجاهلي**، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط١، ٢٠٠٨م.

١٨. القفاري، أميرة ، **قراءة النقد الثقافي للتراث الأدبي آفاق التلقي والتأويل** ، بحث نشر في الندوة الدولية الثانية الموسومة بـ:"قراءة التراث الأدبي واللغوي في الدراسات الحديثة"، جامعة الملك سعود، الرياض، السعودية، ٢٠١٤م.

١٩. كاظم، نادر، **تمثيلات الآخر : صورة السود في المتخيل العربي الوسيط** ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٤م.

٢٠. كموني، خالد، **الشيمية والزمانية في الذهن العربي**، مجلة تبين للدراسات الفكرية والثقافية: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، مج٥, ع١٩ ، ٢٠١٧م

٢١. نغ، إين، **النقد الثقافي وتداخل الحقول المعرفية الان**، ترجمة: عطارد حيدر، مجلة الآداب العالمية: اتحاد الكتاب العرب، س٣٤, ع١٣٨ ، ٢٠٠٩م.

٢٢. هنري، برغسون، **التطور الخالق**، ترجمة: محمد محمود قاسم، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، (د.س).

٢٣. وبريك، رحال، و هرهار، عبدالله. **زمن القبيلة و إشكالية السلطة و العنف في المجتمع الصحراوي**، مجلة عُمران للعلوم الاجتماعية: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، مج ١, ع م٢٠١٣ ، ٤

The poet, the tribe, and the transformations of time: A cultural reading in the Dalia of Duraid ibn al-Samma

abstract:
The researcher attempts to present a different and new cultural reading in the poem of the poet Duraid Ibn Al-Samma by reading the poet's interaction with the events of different temporal events in the totality of their manifestations. The study focused on two main points:

The first is the theoretical focus on the effectiveness of cultural criticism's data and strategies in revealing the cultural and systemic implications involved in textual structures in different texts, as I stopped at the philosophy of time in literary discourse as a central philosophy in literary works of all kind.

The second is the procedural highlighting a role through three parts; The vision of the marginalized poet or who suffers from the problems of time and its transformations to the problem of loss and sadness embodied in the loss of his brother, and the misguided opinion of the tribe, and then the disclosure of the perceptions that the poet takes in order to prove himself and confront these negative transformations.

The study attempted to read the changes of time in this poem through the main sequence that constitutes the major textual structure of the poem, which are the following parts:

The first part is the loss of a woman and longing for her, and it was represented in verses (1-11).

The second part is the tribe and the Blind Opinion, and represented in verses (12-27).

The third part is losing a brother and the weeping of memory, and it is represented in verses (28-46).

Keywords: the poet, Duraid bin Al-Samma, the transformations of time, the self and the tribe